

السودان: المحتجون يستهدفون القصر للمرة الثانية والبشير يستميل الشارع بوعود جديدة



في مقولة شهيرة للمفكر الفرنسي إيتيان دو لا بواصي عن "المواطن المستقر" قال: "عندما يتعرض بلد ما لقمع طويل تنشأ أجيال من الناس لا تحتاج إلى الحرية وتتلاءم مع الاستبداد، ويظهر فيه ما يمكن أن نسميه المواطن المستقر"، بمعنى آخر المواطن المستقر هو المستقر على الظلم والقمع والاستبداد.

وقد تفننت أنظمتنا العربية في مساعي خلق أكبر قدر من هذا المواطن المستقر، فهي وبسبب ما تتبناه من سياسات وإستراتيجيات تهدر الفكر وتحجر على العقول وتخلق مواطنين مستقرين يقتصر نشاطهم الفكري على مستوى المعاش فقط متكيفين جداً مع الاستبداد والطغيان، وبهذا ينعدم الاقتدار المعرفي والإنتاج الفكري وتتجلى حالة عامة من الخصاء الفكري، وهنا يسهل الانقياد وراء الاستبداد السياسي والديني حينها.

للمرة الثانية في أقل من أسبوع توجهت جموع المتظاهرين السودانيين إلى القصر الرئاسي بعد ظهر أمس الإثنين لتقديم عريضة جديدة للمطالبة بتنحي الرئيس عمر البشير بينما تتواصل الاحتجاجات الشعبية المنددة بالأوضاع المعيشية في مختلف المدن السودانية التي قاربت على الانتهاء من أسبوعها الثاني. مسيرات أمس التي حملت عنوان "موكب القصر" وتزامنت مع عيد الاستقلال، جاءت تكملة لنظيرتها التي قام بها المحتجون في الـ 25 من ديسمبر الماضي، استجابة للدعوات التي أطلقتها العديد من الأحزاب والقوى المعارضة على رأسها "تجمع المهنيين السودانيين".

مناوشات دامية بين المحتجين وقوات الأمن التي تدخلت لتفرقة التظاهرات مستخدمة في ذلك الغاز المسيل للدموع والرصاص الحي بحسب شهادة مصادر خاصة لـ "نون بوست" أسفرت عن سقوط عدد من الجرحى إضافة إلى اعتقال العشرات، فيما ذهبت بعض الأنباء إلى سقوط قتلى، في الوقت الذي دعا فيه البشير إلى تشكيل لجنة لتقصي الحقائق والحوار للخروج من الأزمة الاجتماعية والاقتصادية الراهنة.

الطريق الوحيد لتبادل السلطة ليس التظاهر وإنما بالانتخابات، ولا سبيل للفوضى.

”كل الاحتجاجات السابقة كانت تبدأ كبيرة ثم تهدأ حتى تنتهي نظرًا لأنها كانت منظمة ولها قيادات سياسية وحزبية، أما هذه فهي مختلفة تمامًا حيث بدأت من مدرسة ثانوية في عطبرة وانتشرت في باقي المدن السودانية“ منسق حركة تمرد السودان

الوزير أضاف ”نعترف بالوضع الاقتصادي ولكنها شدة وتزول، ولن نسمح أن يستغل ذلك لإشعال الفتنة“، فيما قال مدير عام الشرطة، الفريق أول الطيب بابكر: ”ما جرى في الأحداث تخريب وتدمير للممتلكات“ على هامش المظاهرات التي تشهدها السودان، مؤكدًا أن الشرطة تلاحق المجرمين الذين استغلوا الاحتجاجات للنهب والسرقه.

يذكر أن السلطات السودانية منذ انطلاق الاحتجاجات شنت موجة من الاعتقالات والمداهمات شملت عددًا من القيادات والرموز في ”قوى الإجماع الوطني“ و”نداء السودان“، على رأسهم القيادي في الحزب الشيوعي صديق يوسف، ورئيس حزب البعث التجاني مصطفى، والمتحدث الرسمي باسم الحزب الاتحادي الديمقراطي محمد سيد أحمد، إضافة إلى رئيس حزب المؤتمر السوداني عمر الدقير، كذلك ابنة زعيم حزب الأمة القومي الصادق المهدي، في إطار حملة أمنية تشنها سلطات النظام لصد المد الجماهيري المتصاعد.

قوات الأمن تعتقل زينب الصادق المهدي ابنة رئيس حزب الأمة القومي المعارض
#مدن_السودان_تنتفض #موكب_31ديسمبر 14UTQcv5B6/com.twitter.pic

— رفيدة ياسين (@Rofaidayassin) 31 December 2018

لجنة لتقصي الحقائق

وردًا على تصاعد الاحتجاجات أصدر الرئيس السوداني قرارًا جمهوريًا بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق عن الأحداث الأخيرة التي شهدتها البلاد برئاسة وزير العدل محمد أحمد سالم، دأعيًا خلال كلمته على هامش الاحتفال بعيد الاستقلال القوى السياسية والحزبية إلى التعاطي الإيجابي مع الأزمة الاقتصادية الحالية، قائلًا إن حكومته تشعر بوقع المعاناة الحالية، لكنها توشك على تجاوز هذه المرحلة التي دعاها بالصعوبة والعبارة.

البشير دعا كذلك القوى المعارضة للمساعدة إلى الانضمام للحوار والإعداد الجاد للمشاركة في الانتخابات القادمة تحقيقًا للشورى والديمقراطية الحققة، وفق تعبيره، مؤكدًا أن بلاده تمر بظروف اقتصادية ضاغطة، أضرت بشريحة واسعة من المجتمع، لأسباب خارجية وداخلية.



البشير يصدر قرارًا بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق

وأضاف: ”نحن نقدر هذه المعاناة ونحس بوقعها، ونشكر شعبنا على صبره الجميل (...). إننا على ثقة بأننا נוشارك على تجاوز هذه المرحلة الصعبة والعبارة، والعودة إلى مسار التنمية الشاملة“، في إشارة إلى الاحتجاجات الشعبية في السودان، مناشدًا في خطابه ”القوى السياسية والحزبية المساهمة الراشدة عند التعاطي مع قضايا الوطن، خاصة القضية الاقتصادية الماثلة، بروح النصح وتقديم البدائل، لا بالتنافس والكسب السياسي“.

ليست هذه المرة الأولى التي يطلق فيها الرئيس السوداني وعودًا منذ انطلاق الاحتجاجات، ففي كلمته خلال زيارته لولاية الجزيرة في الـ25 من ديسمبر الماضي وبالتزامن مع مسيرة القصر الأولى أكد على اتخاذ عدد من الإجراءات الإصلاحية لتحسين الأوضاع وتوفير حياة كريمة، غير أن شيئًا لم يتغير ولم تزل الأوضاع كما هي، وبحسب المصادر فإن الطوابير أمام منافذ الخبز والوقود لم تنته بعد.

مواكب ما بتراجع تاني#مدن_السودان_تنتفض#موكب_31ديسمبر rdFNX3Vu1c/com.twitter.pic

– Zeinab Mohammed Ali (@itszee_117) December 31, 2018

موقف حرج

تتميز الاحتجاجات الحالية بأنها غير مسبوقه في تاريخ السودان، رغم أنها ليست الأولى من نوعها، إذ إن ما يميزها أن انتفاضة شعبية خرجت من بين الطبقات الكادحة وليس لها أي قيادة سياسية، وهو ما يجعل السيطرة عليها أمر صعب على عكس الاحتجاجات الأخرى التي انطفاً بريقها سريعًا.

بكري عبد العزيز، منسق حركة ”تمرد السودان“، أكد هذا الكلام في تصريحات له بأن ”كل الاحتجاجات السابقة كانت تبدأ كبيرة ثم تهدأ حتى تنتهي نظرًا لأنها كانت منظمة ولها قيادات سياسية وحزبية، أما هذه فهي مختلفة تمامًا حيث بدأت من مدرسة ثانوية في عطبرة وانتشرت في باقي المدن السودانية بما فيها العاصمة الخرطوم، وسط تجاهل حكومي لمطالب الجماهير سوى أدوات مواجهتها بالقوة“.

3 سيناريوهات رئيسية تسيطر على الأجواء منذ بدء الاحتجاجات التي تجاوز سقفها الحد المتوقع، على رأسها أن ينتهي البشير عن الحكم

وأكد على استمراريتها حتى تحقيق مطالب المحتجين كافة، لافتاً إلى أن الشعب السوداني كسر حاجز الخوف خلال الأيام الماضية ورفع المتظاهرون شعار ”الرصاص ما بيقتل... بيقتل سكات الزول“، مؤكداً أن تلك الاحتجاجات كشفت الوجه الحقيقي لتعامل الحكومة مع المواطنين الذي حاولت إخفائه عن العالم خلال السنوات السابقة من أجل رفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب، لكن الاحتجاجات الحالية كشفت تلك الأغوية.

ثمة سيناريوهات يتداولها السودانيون على مستوياتهم السياسية والاجتماعية كافة وفي وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي، بشأن مآل الأوضاع في البلد العربي، تذهب معظمها في إحداث انقلابات داخلية سواء في الهيكل السياسي للدولة بدءاً من أعلى هرم السلطة أم فيما يتعلق بالقاعدة العريضة من المتحكمين في الشأن العام الداخلي.

أن شاء الله حيصير باذن الله

الشعب السوداني معلم الشعوب #موكب_31ديسمبر #مدن_السودان_تنتفض
pic.twitter.com/ANQ9F3mEia

— hussam (@hassommhod) December 31, 2018

الكاتب السوداني محمد الفاتح، في حديثه لـ ”نون بوست“ كشف 3 سيناريوهات رئيسية تسيطر على الأجواء منذ بدء الاحتجاجات التي تجاوز سقفها الحد المتوقع، على رأسها أن يتنحى البشير عن الحكم ويكلف أحد من معاونية بقيادة الأمور خلال الفترة المقبلة على أن يتم الترتيب مع القوى السياسية الأخرى.

ومع صعوبة ترجمة هذا السيناريو في ظل حرص البشير على الدفاع عن كرسيه مهما كلفه الثمن مستعيناً في ذلك بقوات الجيش والشرطة اللتين أعلنتا دعمهما له، يذهب الفاتح إلى السيناريو الثاني وهو الإطاحة بالحكومة الحالية بصفتها المسؤولة عن تردي الأوضاع حسبما كشف البعض، ويعاد تشكيلها عبر توازنات وائتلافات تضم كل ألوان الطيف السياسي في البلاد، وأن تمثل من المعارضة.

ورغم اقتراب هذا السيناريو من التحقيق إلا أن السيناريو الثالث ربما يكون الأقرب واقعية حسب الكاتب السوداني، وهو إجراء حزمة من الإصلاحات السريعة بمساعدة بعض الدول الحليفة، بمقتضاها يسد بعض الثغرات التي انطلقت منها التظاهرات كتوفير الدعم للخبز والوقود وتوفير السيولة المالية في البنوك.

وفي ظل تعدد السيناريوهات المطروحة وتصاعد الاحتجاجات ورفع مستوى مطالبها في الوقت الذي تبقى فيه حكومة البشير على حزمة الوعود والتعهدات الشفهية دون تحريك حقيقي لأي منهما بما يمتص بعض من الغضب المسيطر على جموع المحتجين فيما يتساقط بعضهم واحداً تلو الآخر، ما بين مصاب وقتيل، تبقى الخيارات كافة متاحة.